الفصل الأوّل

ما هي آداب وأخلاقيّات البيئة المحيطة؟

أسماك السلمون، كلاب البحر والإنسان

أسماك السلمون هي إحدى الأسماك المميّزة في المحيط الهادئ. تبدأ حياتها في مياه الأنهار العذبة في شمال غرب الولايات المتّحدة وكندا، وعندما تصبح بالغة تنتقل إلى البحر المفتوح، وتعيش معظم حياتها هناك. عندما يقترب موسم التكاثر تعود أسماك السلمون إلى الأنهار، وهي تقطع مئات الكيلومترات كي تضع بيضها لتُنجب الجيل الجديد إلى العالَم. أسماك السلمون هي جزء مهمّ في الشبكة الغذائيّة في المنطقة. تتغذّى الدببة، النسور وحيوانات أخرى على أسماك السلمون الّتي تمرّ في الأنهار. يحبّ الإنسان أنْ يأكل أسماك السلمون أيضًا؛ لذا يصطادها بكمّيّات تجاريّة كبيرة. يتمّ الصيد التجاريّ في البحر المفتوح. طرأ انخفاض كبير جدًّا، في السنوات الأخيرة، على كمّيّة أسماك السلمون، وهنالك خلاف حول السبب. يدّعي الصيّادون أنّ السبب لذلك هو هدم بيوت تنمية أسماك السلمون في الأنهار. تُهْدَم بيوت التنمية بسبب قطع الأشجار، الزراعة والتمدّن بالقرب من الأنهار. يدّعي المزارعون والشركات الّتي تقطع الأشجار أنّ الصيد التجاريّ الواسع النطاق، للأسماك في البحر، هو السبب لانخفاض كمّيّة أسماك السلمون. يدّعي علماء المحيطات إلى أنّه يمكن شرح انخفاض كمّيّات الأسماك بسبب التغيّرات الّتي حدثت في الآونة الأخيرة في تيّارات الماء الّتي ترتفع من أعماق المحيطات، وقد أدّت هذه التغيّرات إلى تغيير ظروف حياة أسماك السلمون في البحر المفتوح. هنالك سبب آخر - واضح ومباشر - لانخفاض كمّيّة أسماك السلمون في المنطقة، وهو الحفاظ على حياة كلاب البحر.

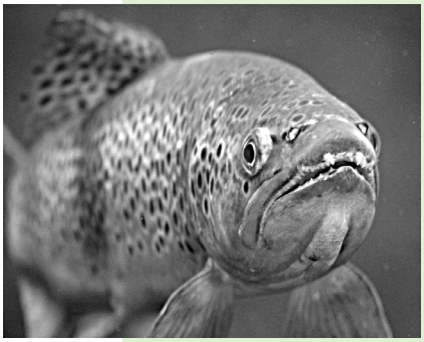

كلاب البحر هي ثدييّات بحريّة يهدّدها خطر الانقراض؛ لأنّها تُصطاد في أماكن كثيرة، وتُستغلّ كغذاء للإنسان، ويُستعمل جلدها كمادّة خامّ لتحضير منتجات مختلفة. يحبّ أشخاص كثيرون كلاب البحر، وهم يستمتعون في رؤيتها؛ لذا منعت الولايات المتحدة صيد كلاب البحر منذ سنة 1972. وقد أدّى ذلك إلى ازدياد عددها بشكل ملحوظ في هذه المنطقة، ويمكن رؤيتها اليوم هناك بسهولة. تَطَوَّرَ فرع السياحة البيئيّة في أماكن كثيرة، إذ يشترك فيه أناس كثيرون لمشاهدة كلاب البحر.

أدّى تكاثر كلاب البحر إلى انخفاض كمّيّة أسماك السلمون؛ لأنّ كلاب البحر تأكلها. اتّضح أنّ محاولة مساعدة أسماك السلمون على التكاثر أدّت إلى نتيجة عكسيّة، وإلى ازدياد افتراسها بواسطة كلاب البحر، لأنّه بُنيت سدود كثيرة، في أنهار كثيرة، في شمال غرب الولايات المتحدة، وقد منعت هذه السدود من انتقال أسماك السلمون إلى أعلى النهر، وانخفضت في أعقاب ذلك قدرتها على التكاثر. لمواجهة هذه المشكلة بُنيت لهذه الأسماك مجمّعات مياه خاصّة، في مصبّات الأنهار، كي تتكاثر فيها، دون أنْ تحتاج الصعود إلى أعلى النهر. تعرف كلاب البحر هذه المجمّعات جيّدًا، وهي تنجذب إليها بسبب وجود كميّات كبيرة من الأسماك. فشلت محاولات تجميع كلاب البحر من هذه المجمّعات ونقلها إلى أماكن أخرى، وقد عادت كلاب البحر إلى هذه المجمّعات خلال فترة زمنيّة قصيرة، واستوطنت فيها. هذه الحالة لأسماك السلمون وكلاب البحر معقّدة، وتُثير تساؤلات كثيرة، مثلًا: هل يجب الاستمرار في السياسة الحاليّة الّتي تمنع صيد كلاب البحر؟ إذا كانت الإجابة نعم، لماذا يجب الاستمرار في هذه السياسة؟ هل هنالك رغبة في أنْ لا يتضرّر كلّ من يحبّ كلاب البحر وكلّ من يكسب رزقه من السياحة البيئيّة؟ أو ربّما الاعتراف بحق كلاب البحر في الحياة دون أيّ علاقة بالفائدة الّتي يستفيد منها الإنسان. إذا استمرّ منع الصيد، فإنّنا نضرّ أسماك السلمون وصيّادي أسماك السلمون. لكنّ هل حياة كلب البحر مفضّلة عن حياة أسماك السلمون؟ هل كسب رزق الناس الّذين يعملون في السياحة البيئيّة أهمّ من كسب رزق الناس الّذين يعملون في صيد أسماك السلمون؟

الأسئلة والصراعات الّتي طرحناها تميّز مشاكل البيئة المحيطة، وهي من شؤون أخلاقيّات البيئة المحيطة الّتي سنبدأ بالتعرف عليها في هذا الفصل.

أسئلة للتفكير

1. ما رأيكم، هل يجب الاستمرار في منع صيد الكلاب؟
2. حاولوا أنْ تجدوا في الحالات الّتي بحثناها صراعات (معضلات) وأسئلة إضافيّة للأسئلة الّتي طرحناها.

مقدّمة

نتعرف في هذا الفصل على آداب وأخلاقيّات البيئة المحيطة، ونتعرّف على عدّة مصطلحات نستعملها فيما بعد في هذا الكتاب. نشرح في بداية الفصل – بإيجاز- ما هي **الآداب والأخلاقيّات**؟ وما هي **آداب** و**أخلاقيّات البيئة المحيطة؟** ونَصف بعد ذلك النُهُج الثلاثة المركزيّة لأخلاقيّات البيئة المحيطة: **نهج مركزيّة الإنسان، نهج المركزيّة الحيويّة ونهج قيمة الكون**.نعرض في القسم الأخير من الفصل **نظريّة المنفعة ونظريّة الحتمية**، وهما نظريّتان أخلاقيّتان عامّتان مناسبتان لآداب ولأخلاقيّات البيئة المحيطة.

ما هي الآداب والأخلاقيّات؟

يتناول موضوع **الآداب والأخلاقيّات** أسئلة مثل: ما هو العمل المناسب وما هي طريقة الحياة المناسبة؟ وهو يشمل نقاشًا في نظام القيم الّتي تحدّد العمل الّذي يُعتبر مناسبًا وطريقة الحياة الّتي تُعتبر مناسبة. الأخلاقيّات الّتي يؤمن بها الفرد – والمجموعة - هي الّتي توجّه سلوكه وكيفيّة حياته. يمكن استعمال الكلمتين: **أخلاقيّات وآداب** ككلمتيْنِ مترادفتيْنِ، وهكذا سنفعل في هذا الكتاب.

نعرض التطبيق العمليّ للأخلاقيّات بواسطة المثال التالي: عندما يصعد شخص كبير السنّ إلى الحافلة نسأل أنفسنا، هل نقوم ونُتيح له الجلوس؟ بما أنّ إحدى القيم الّتي نؤمن بها أنّه يجب مساعدة الضعفاء، فإنّنا نقوم ونُتيح له الجلوس. كذلك الأمر بالنسبة للمؤسّسات الاجتماعيّة (مثلًا: المؤسّسات الحكوميّة) الّتي تتخبّط في أسئلة تحتاج إلى قرارات أخلاقيّة. مثلًا: عندما يدور نقاش حول مواضيع اقتصاديّة، نطرح السؤال: هل يجب أن نأخذ بالحسبان تأثير القرارات على الفقراء في المجتمع؟ يؤدّي تطبيق قيمة الاهتمام بالضعيف إلى أنْ نأخذ الفقراء بالحسبان، وإذا تضرّر الفقراء، فإنّنا نحاول أنْ نعالج الضرر بشكل آخر.

نظريّات أدبيّة وأخلاقيّة: منذ القدم يحاول الفلاسفة صياغة نظريّات أخلاقيّة لتحديد كيفيّة التصرّف بشكل أخلاقيّ. تحاول معظم النظريّات الأخلاقيّة أنْ تصوغ مبادئ **عالميّة**، هذا يعني أنْ تكون المبادئ مناسبة لجميع الناس في كلّ مكان وزمان. مثلًا: حدّدت النظريّة الأخلاقيّة الّتي نسمّيها "نظريّة المنفعة" أنّ العمل المناسب هو العمل الّذي يؤدّي إلى أقصى فائدة. المعنى العالميّ لهذا المبدأ أنّ الأعمال الّتي تحقّق هذا المبدأ في كلّ مكان وزمان هي أعمال أخلاقيّة. نتعرّف في الصفحات 24-21 على نظريّتين أخلاقيّتين مناسبتين لأخلاقيّات البيئة المحيطة، وهما **نظريّة المنفعة ونظريّة الحتمية**. هنالك من يَشُكّ في إمكانيّة صياغة نظريّة أخلاقيّة عامّة، ويدّعون أنّ الأخلاقيّات شيء نسبيّ قد تختلف بين الثقافات المختلفة. نسمّي هذا النَّهج **"الآداب والأخلاقيّات النسبيّة".**

حسب هذا النَّهج، يُعتبر شيء معيّن أخلاقيًّا إذا كان مقبولًا في مجتمع معيّن. مثلًا: اعتاد الناس، في الدول الجنوبيّة في الولايات المتّحدة، أنْ يتاجروا في العبيد، وقد اعتُبر هذا الشيء في المجتمع كعمل صحيح. في المجتمع الّذي نعيش فيه اليوم، تُعتبر العبوديّة شيئًا لا أخلاقيًّا ويمنعها القانون. لا يرى الأشخاص الّذين يؤمنون في نَهج "الأخلاقيّة النسبيّة" أنّ إلغاء العبوديّة هو تعبير للتقدّم الأخلاقيّ، بل هو نتيجة لتغيّرات اجتماعيّة أدّت إلى تحديد معايير أخلاقيّة مختلفة.

صراعات (معضلات) أخلاقيّة: نتناول في إطار الأخلاقيّات صراعات أخلاقيّة كثيرة. الصراع هو اختيار صعب من بين إمكانيّات مختلفة. **الصراع الأخلاقيّ** هو وضع فيه اختيار صعب من بين إمكانيّات مختلفة، حيث يؤذي اختيار كلّ إمكانيّة إحدى القيم الّتي نؤمن بها. نعرض مثالًا لصراع أخلاقيّ: نفترض أنّنا حدّدنا موعدًا معيّنًا، والتزمنا بأنْ لا نتأخّر، لكن عندما خرجنا من البيت بسرعة طلب منّا أحد الجيران أنْ نساعده في تشغيل سيّارته المعطّلة. المطلوب منّا في هذه الحالة أنْ نتّخذ قرارًا حاسمًا حول أيّ قيمة يجب أنّ نحافظ عليها، هل نحافظ على قيمة الالتزام بالوقت، أم على قيمة مساعدة الآخرين؟

أسئلة للتفكير

1. أ. سجّلوا أمثلة لقيم مقبولة في المجتمع الّذي تعيشون فيه.
   ب. اُذكروا أمثلة لأعمال تعتمدون فيها - أنتم أو المجتمع على القيم الّتي سجّلتموها في البند السابق(اُذكروا أمثلة من الصفّ أو من مؤسّسات حكوميّة).
2. هل يمكن أنْ تتحقّق، حسب رأيكم، آداب وأخلاقيّات تعتمد على الآداب والأخلاقيّات النسبيّة، أم أنّه من الضروريّ أنْ تعتمد الآداب والأخلاقيّات على مبادئ شاملة عالميّة؟
3. أ. صفوا وضعًا فيه صراع (معضلة) لا يعتبر صراعًا أخلاقيًّا.
   ب. صفوا وضعًا فيه صراع (معضلة) أخلاقيّ. اذكروا القيم المتناقضة في هذا الوضع.

ما هي آداب وأخلاقيّات البيئة المحيطة؟

تتناول أخلاقيّات البيئة المحيطة أسئلة: كيف من الأفضل أنْ نتعامل مع البيئة المحيطة؟ ما هي القيم الّتي بحسبها نحدّد المفضّل وغير المفضّل للبيئة المحيطة؟ نوضّح ذلك بواسطة عدّة أمثلة تعرض صراعات أخلاقيّة لأفراد أو للمجتمع في مجال البيئة المحيطة:
قد يتخبّط الفرد في أسئلة، مثل: هل أفصل القناني البلاستيكيّة عن النفايات البيتيّة، وأرميها في الحاوية المعدّة لإعادة التدوير؟ هل أسافر بدراجة هوائيّة أم مواصلات عامّة بدلًا من المرْكَبة الخصوصيّة؟ هل أشترك في مظاهرة من أجل الحفاظ على مساحة مفتوحة داخل المدينة؟

قد يتخبّط ممثّلو الشعب أو موظّفو حكومة في أسئلة مختلفة: هل يجب تعبيد شارع في منطقة غنيّة بثروات طبيعيّة خاصّة؟ هل يجب أنْ نفرض محدوديّات على انبعاث ملوّثات تَنتج في مصنع يعمل فيه عمّال كثيرون؟ هل يجب أنْ نسمح بصيد أنواع كائنات حيّة تؤدّي إلى أضرار في الزراعة؟ تناول فلاسفة في فترات قديمة قسمًا من قضايا أخلاقيّات البيئة المحيطة، مثلًا: مكانة الإنسان في الطبيعة ومعاملة الحيوانات. لكن بدأ النقاش حول المواضيع الأخرى الّتي تتناول أخلاقيّات البيئة المحيطة في سنوات الستينيّات فقط من القرن العشرين، وذلك في أعقاب ازدياد الوعي لمشاكل البيئة المحيطة، والاعتراف بوجود أزمة بيئيّة محيطة (انظروا فيما بعد). فيما يلي بعض المواضيع الّتي بدأوا في مناقشتها منذ ذلك الحين: مسؤوليّة الإنسان اتّجاه هدم البيئة المحيطة الطبيعيّة، وإبادة أنواع بيولوجيّة أخرى، موقف الإنسان إزاء البيئة المحيطة الّتي أنتجها (مثلًا: بيئة محيطة مدنيّة أو بيئة محيطة زراعيّة)، قضايا عدالة البيئة المحيطة (مثلًا: أنْ تتعرّض فئات سكانيّة مستضعفة[1] لمضرّات بيئيّة محيطة) وحقوق الأجيال القادمة (مثلًا: من حقّهم أنْ يولدوا في عالَم تتوفّر فيه الموارد المطلوبة لبقائهم وتطوّرهم). يعتقد قسم من المفكرين أنّه في إطار النظريّات الأخلاقيّة الموجودة (الّتي سنتعرّف على قسم منها فيما بعد) يمكن معالجة القضايا الأخلاقيّة المرتبطة بمشاكل البيئة المحيطة. لكن يعتقد آخرون أنّ قضايا البيئة المحيطة ذات خصوصيّة، وهي تطرح تساؤلات أخلاقيّة من الصعب الإجابة عنها في إطار النظريّات الأخلاقيّة التقليديّة؛ لذا يجب أنْ نطوّر أخلاقيّات خاصّة للبيئة المحيطة.

أسئلة للتفكير

1. اُكتبوا أمثلة لصراعات (معضلات)، في مجال البيئة المحيطة، قد تُشغل فكركم كأفراد، وأمثلة لصراعات في مجال أخلاقيّات البيئة المحيطة، قد تُشغل فكر ممثّلي الشعب أو موظّفي حكومة (جدوا أمثلة تختلف عن الأمثلة المعروضة في الكتاب).
2. أ. اختاروا عدّة أمثلة للصراعات (معضلات) الّتي وصفناها في هذا القسم، أو من الَصراعات الّتي سجّلتموها في سؤال 1، وسجّلوا القيم الّتي يمكن أنْ تتناقض مع هذه الصراعات (المعضلات).

   ب. كيف تحسمون وتتّخذون القرارات في هذه الصراعات (المعضلات)؟

أزمة البيئة المحيطة كخلفيّة لتطوّر آداب وأخلاقيّات البيئة المحيطة

تأثير الإنسان على البيئة المحيطة والخلفيّة التاريخيّة لتطوّر أزمة البيئة المحيطة. الإنسان هو نوع بيولوجيّ موجود منذ حوالي مليونيْ سنة. يختلف الإنسان عن سائر الكائنات الحيّة بقدرته أنْ يطوّر ثقافة وتكنولوجيا تُتيح له استغلال البيئة المحيطة لبقائه على قيد الحياة (هذا يعني أنْ يزوّد نفسه بالغذاء)، أنْ يُنتج منتجات وأنْ يستخرج طاقة. تُتيح هذه التكنولوجيا للإنسان أنْ يرفع من مستوى حياته وأنْ يحسّن جودتها. حدثت ثورتان تكنولوجيّتان مهمّتان في تاريخ البشريّة، وقد عبر الإنسان فيهما عن قدرته الخاصّة.

1 مصطلح آخر مقبول للتعبير عن فئات سكّانيّة وضعها الاقتصاديّ- الاجتماعيّ متدنٍّ.

الثورة الأولى هي **الثورة الزراعيّة** الّتي حدثت قبل حوالي **10,000** سنة. أتاحت هذه الثورة للإنسان أنْ يزيد - بشكل ملحوظ - كمّيّة الغذاء المتوفّر له، وحوّلت المساحات الطبيعيّة الواسعة إلى مساحات زراعيّة. حدّد الإنسان في هذه المساحات الظروف وأنواع النباتات والحيوانات الّتي تعيش فيها، وفي أعقاب ذلك طرأت تغيّرات كبيرة في النظام البيئيّ[2]. نجح الإنسان بواسطة تطبيق المعرفة الزراعيّة الّتي تطوّرت على مرّ السنين أنْ يحافظ على خصوبة التربة، وهكذا أتاح بقاء الزراعة مدّة زمنيّة طويلة. كانت التغيّرات الّتي سبّبها الإنسان محليّة، ولم تؤثّر على الصعيد العالميّ.

الثورة الثانية هي **الثورة الصناعيّة** الّتي بدأت خلال القرن الثامن عشر. بمساعدة التكنولوجيا، الّتي طُوّرت في هذه الفترة، بدأ استغلال واسع النطاق للموارد المتناقصة (وقود، معادن)، وقد أتيح بواسطتها إنتاج واسع النطاق لمنتجات كثيرة بكمّيّات كبيرة. منذ ذلك الحين، وحتّى يومنا هذا، يستمرّ التطوّر السريع للتكنولوجيا الصناعيّة بشكل متواصل، وهو يزداد بشكل هائل مع مرور الوقت. تُتيح التكنولوجيا للإنسان العصريّ أنْ يعيش في مستوى عال لمدّة زمنيّة طويلة. تحدُث بالموازاة عمليّة تلوّث للبيئة المحيطة وتتناقص مواردها بشكل كبير جدًّا لم يُعرف من قبل، ونتجت لأوّل مرّة في تاريخ البشريّة مشاكل في البيئة المحيطة ذات تأثير عالميّ واسع النطاق (مثلًا: ازدياد الانحباس الحراريّ العالميّ وتناقص طبقة الأوزون).

يعرّف الكثيرون هذه العمليّات على أنّها **أزمة البيئة المحيطة**.

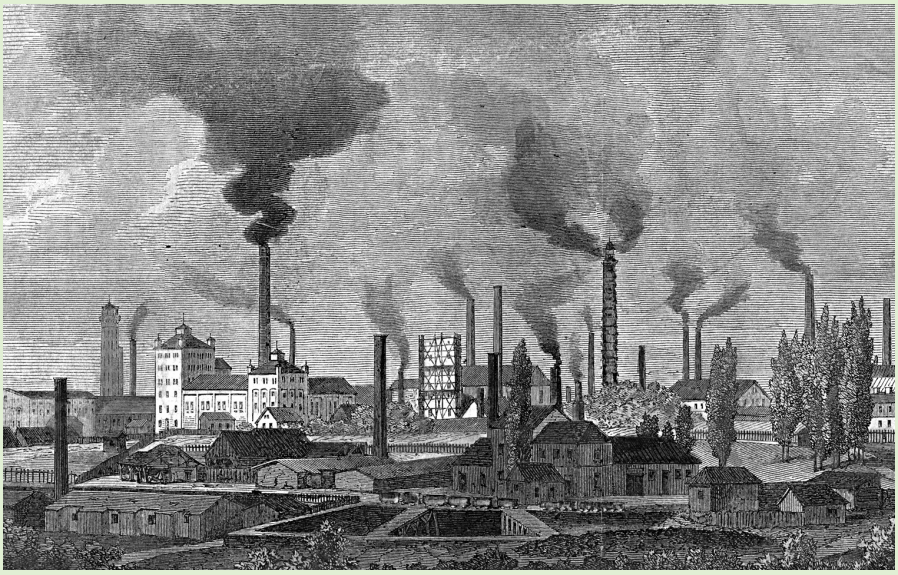

مدينة في أوروبا، في فترة الثورة الصناعيّة.

2 هكذا حدث أيضًا في أعقاب قطع الغابات، لاستعمال الخشب كمصدر للطّاقة.

ردود الفعل لأزمة البيئة المحيطة: منذ القدم وحتّى يومنا هذا يُعتبر استغلال موارد البيئة المحيطة لاحتياجات الإنسان عمليّة شرعيّة تُتيح للإنسان مواجهة محدوديّات الطبيعة والتقدّم في الحياة. حتّى منتصف القرن العشرين انتبه القليل من المفكّرين إلى هذا التأثير على البيئة المحيطة. بدأ الاهتمام في موضوع البيئة المحيطة في الولايات المتّحدة، في القرن التاسع عشر، على يد مفكّرين مختلفين رأوا اختفاء المناظر الطبيعيّة وانتشار استيطان الإنسان الأبيض من الشاطئ الشرقيّ للولايات المتّحدة باتجاه غربه. في أعقاب نشاط هؤلاء المفكّرين، تطوّر في الولايات المتّحدة نَهج صيانة (conservation)[3] البيئة المحيطة، وقد أُعلن في إطار تطبيقه في الولايات المتّحدة، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عن متنزّهات وطنيّة، كما أُنشئت مؤسّسة لتقديم الخدمات للغابات في الولايات المتّحدة، وَشُرِّعَتْ قوانين بخصوص موضوع الصيد وصيد الأسماك. صدر كتاب عالمة البيولوجيا راحل كارسون "الربيع الصامت" سنة 1962. لفت الكتاب انتباه الجمهور إلى الانعكاسات الخطيرة لتلوّث البيئة المحيطة بواسطة مبيدات الحشرات (مثلاً" D.D.T)، وأثار أصداء كثيرة. اعتُبر هذا الكتاب نقطة تحوّل في وعي الجمهور لمشاكل البيئة المحيطة، وفي أعقاب نشره بدأ في الولايات المتّحدة - وبعد ذلك في أوروبا - إنشاء حركات تعتني بالبيئة المحيطة، وقد طلبت هذه الحركات من الحكومات أنْ تعالج مشاكل البيئة المحيطة. منذ سنوات الستينيّات بدأ تشريع القوانين في دول الغرب لمواجهة مشاكل البيئة المحيطة في مجال جودة الهواء، الماء، النفايات وغير ذلك. وبالموازاة بدأ تطوير تكنولوجيا لمنع وتقليص التلوّث المنبعث نتيجة لنشاط الإنسان في الصناعة والمواصلات. تناول باحثون وسياسيّون، في سنوات السبعينيّات، قضيّة الاستعمال الزائد للموارد والحاجة إلى سياسة بيئة محيطة تأخذ بالحسبان الانعكاسات طويلة الأمد لنشاط الإنسان على البيئة المحيطة. بلورت لجنة خاصّة لهيئة الأمم المتّحدة، سنة 1987، فكرة **التطوّر المستديم** الّذي عُرّف كـ " تطوّر يفي باحتياجات الجيل الحاليّ دون أنْ يضرّ احتياجات الأجيال القادمة". فيما بعد تمّت صياغة مصطلح **الاستدامة** الّذي أساسه طريقة حياة تُتيح بقاء الإنسان مدّة زمنيّة طويلة[4]. السؤال الّذي يطرح نفسه، كيف نحقّق التطوّر المستديم والاستدامة، بحيث يكونان في مركز الحوار حول البيئة المحيطة في القرن الواحد والعشرين؟ يزداد، في السنوات الأخيرة، الاعتراف بالعلاقة بين مشاكل البيئة المحيطة والعدالة الاجتماعيّة، ويطالب الكثيرون إدارة سياسة عادلة اتّجاه البيئة المحيطة، بحيث تُتيح لجميع فئات المجتمع الوصول إلى موارد البيئة المحيطة، وأنْ تعيش في بيئة محيطة دون مضرّات[5].

سؤال للتفكير

لماذا يعرّف الكثيرون تأثير الإنسان على البيئة المحيطة، منذ الثورة الصناعيّة، كأزمة في البيئة المحيطة؟

3 اُنظروا النقاش حول الموضوع في الفصل الثالث.

4 هنالك نقاش موسّع حول هذه المصطلحات في الفصل التاسع.

5 هنالك نقاش موسّع حول هذه المصطلحات في الفصل الثامن.

نُهُج مركزيّة في آداب وأخلاقيّات البيئة المحيطة

تطوّرت في إطار أخلاقيّات البيئة المحيطة نُهُج مختلفة، سنتعرّف في هذا الكتاب على القليل منها. يمكن أنْ تنتمي النُهُج المختلفة إلى إحدى النُهُج المركزيّة التالية: **نهج مركزيّة الإنسان، نهج مركزيّة الأحياء ونهج مركزيّة الكون.** يتمركز الفرق بين النهج المركزيّة – بالأساس - بالإجابة عن السؤال التالي: من يستحقّ المعاملة الأخلاقيّة؟ هذا يعني أنّه مقارنة بمن أو لماذا يجب أنْ نفحص أنفسنا، وأنْ نتساءل هل نتصرّف بشكل صحيح؟

قبل أنْ نَصف كلّ نهج، نعرض رأي مؤسّس أخلاقيّات البيئة المحيطة الجديدة، ساكن الغابات الأميركيّ ألدو ليئوفولد[6] حول الّذين يستحقّون المعاملة الأخلاقيّة. يُتيح لنا اهتمام ليئوفولد بالموضوع معرفة مصطلحات، مثل: **القيمة الداخليّة وقيمة الاستعمال**، سنستعمل هذين المصطلحين فيما بعد لشرح النُهُج الثلاثة المركزيّة.

يحكي ليئوفولد القصة التالية: عندما عاد أوديسئوس، أحد ملوك اليونان القديمة، من حرب طروادة، قتل 12 عبدة، لأنّه اشتبه بهنّ بتصرف غير لائق خلال غيابه. لم يُعتبر هذا العمل في حينه كعمل غير أخلاقيّ، لأنّ العبيد جزء من ممتلكاته، وهو يستطيع أن يفعل ما يشاء. لم تُطرح قيمة حياة العبد، لأنّه اعتُبر كممتلكات وليس كإنسان له قيمة بحدّ ذاته. يمكن القول بلغة الفلسفة: إنّ قيمة العبد في تلك الفترة هي **قيمة استعمال** فقط، وهذا يعني أنّ قيمته كانت مرتبطة بالفائدة الّتي يجنيها الآخرون منه. ادّعى ليئوفولد أنّه منذ ذلك الوقت القديم، تطوّرت الأخلاقيّات، ونحن نؤمن اليوم أنّ جميع الناس تستحقّ المعاملة الأخلاقيّة، لأنّه توجد لهم قيمة ذاتيّة بحدّ ذاتها، بغضّ النظر عن الفائدة الّتي يجنيها أو لا يجنيها الآخرون. نقول بلغة الفلسفة: عندما تكون قيمة لكيان الإنسان بحدّ ذاته (قيمة غير مرتبطة بالفائدة الّتي يجنيها الآخرون)، فإنّ هذا الكيان له **قيمة داخليّة**. الكيان الّذي توجد له قيمة داخليّة يستحقّ المعاملة الحسنة. وذلك مقارنة بأغراض مختلفة، مثل: الطاولة أو الكرسيّ الّتي لا تحصل على معاملة أخلاقيّة، بل تحصل على معاملة تقدير، على الأكثر، بسبب الفائدة الّتي يجنيها الإنسان منها.

أوديسئوس

6 يمكنكم أنْ تقرأوا، في الفصل الرابع بتوسّع، عن ألدو ليئوفولد ونهجه اتّجاه أخلاقيّات البيئة المحيطة.

يؤمن ليئوفولد أنّ الأخلاقيّات موجودة في عمليّة تطوّر مستمرة، وسيؤدّي الاستمرار في تطوّرها إلى معاملة الحيوانات، النباتات والأنظمة البيئيّة الكاملة بطريقة أخلاقيّة.
يمنح نهجان من النُهُج المركزية الّتي سنَصفها معاملة أخلاقيّة لهذه الكيانات.

أسئلة للتفكير

1. اُكتبوا أمثلة لأشياء لها قيمة استعمال فقط.
2. كلّ إنسان له قيمة داخليّة. حسب هذا التحديد، ما التزامات كلّ واحد منّا اتّجاه الناس الآخرين؟
3. أ. هل هنالك كيانات (أشياء)، حسب رأيكم، لها قيمة داخلية باستثناء الإنسان؟
   ب. إذا اعتقدتم أنّ هنالك كيانات، باستثناء الإنسان، تستحق القيمة الداخليّة، فما الالتزامات الّتي تشعرون بها اتّجاه هذه الكيانات؟

نَهج مركزيّة الإنسان (إنتروبوسنتري)

يقف الإنسان في نهج مركزيّة الإنسان [7] في المركز، توجد له قيمة داخليّة ويستحقّ المعاملة الأخلاقيّة. أمّا سائر الأشياء (البيئة المحيطة الفيزيائيّة، الحيوانات والنباتات) وتُعتبر موارد أُعدّت لخدمة الإنسان ولزيادة رفاهيّته، وهذا يعني أنّ قيمتها قيمة استعمال فقط.

هنالك من يرى أنّ الدّيانات التوحيديّة (الديانة اليهوديّة، المسيحيّة والإسلاميّة) هي مصدر نهج مركزيّة الإنسان في الغرب.
يحتلّ كلّ من نظرة مركزيّة الإنسان، والشعور أنّ الإنسان هو السلطة العليا في الطبيعة مكانًا مرموقًا في نظام التسلسل الهرميّ الموجود في الديانات التوحيديّة.

كلّ ما ينتج في الطبيعة، ينتج لفائدة الإنسان بشكل خاصّ (أرِسطو).

7 انتروبوسنتري باليونانيّة: انتروبو- الإنسان، سنتري- مركز، هذا يعني أنّ الإنسان في المركز.

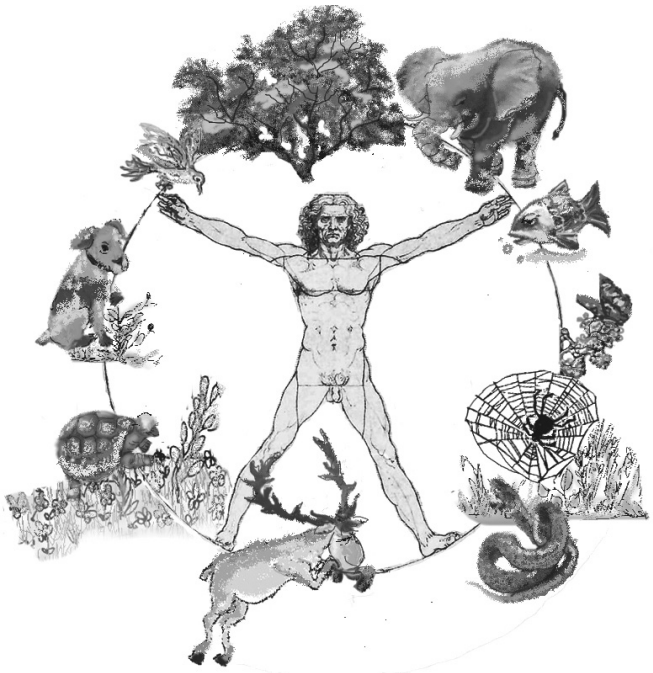

الله في رأس الهرم، وهو خالق الطبيعة، تحته الإنسان، ومن تحت الإنسان الحيوانات والنباتات، هذا يعني أنّ سائر الطبيعة تحت الإنسان. يختلف هذا النهج عن نُهُج الديانات في الشرق الأقصى والديانات في إفريقيا وأميركا، لأنّ الله أو الآلهة، في هذه الديانات، موجودة في جميع كيانات الطبيعة، مثل: الأجرام السماويّة، النباتات، الحيوانات والأنهار. الإنسان حسب هذه النُهُج هو جزء من الطبيعة، يتناسق معها ولا يقع فوقها. بدأ كلّ من الفلسفة والعلم الغربيّ الحديث، في بداية القرن الثامن عشر، وقد حصلا على القيم الدينيّة – التوحيديّة، وقد رأيا في البيئة المحيطة مصدرًا للموارد ولفائدة الإنسان. لم تُناقش الفلسفة الغربيّة السؤال التالي: هل هنالك كائنات حيّة أخرى، باستثناء الإنسان، تستحقّ المعاملة الحسنة؟ لأنّه كان مفهومًا ضمنًا أنّ الإنسان هو الكيان الوحيد الّذي يستحقّ المعاملة الحسنة. ادّعى بعض المفكّرين الّذين علّلوا هذا الموقف أنّ من يستحقّ المعاملة الأخلاقيّة الحسنة يجب أنْ تتوفّر فيه قدرات خاصّة. عرّف المفكّرون ماهيّة هذه القدرات بشكل مختلف كواحدة أو أكثر من القدرات التالية:الوعي الذاتيّ، قدرة الاختيار، الإحساس والقدرة على اتّخاذ قرارات أخلاقيّة. يدّعي بعض المفكّرين أنّ الإنسان فقط يتميّز بهذه الصفات؛ لذا فهو الوحيد فقط الّذي يستحقّ المعاملة الأخلاقيّة (سنعرض نقاشًا واسع النطاق حول هذا الموضوع في الفصل الثاني، في الصفحات 30-29).

كما ذكرنا، الفكرة المركزيّة لنهج مركزيّة الإنسان أنّ الطبيعة أُعِدّت لخدمة الإنسان. لكن هل معنى ذلك أنّ الإنسان يستطيع أنْ يعمل كلّ ما يحلو له في الطبيعة؟ يُجيب الكثيرون عن هذا السؤال "بلا"، ويدّعون أنّ وظيفة الإنسان الحفاظ ورعاية البيئة المحيطة. نسمّي هذا النوع من نهج مركزية الإنسان **Stewardship**. معنى الكلمة Steward يُدير ويخدم، ومعنى التعبير Stewardship هو "الإشراف" أو إدارة الجهاز البيتيّ.

المدير ليس مالك البيت، لكن من مسؤوليّته أنْ يُديره بأفضل طريقة لمصلحة مالك البيت. قصد المصطلح Stewardship في سياق أخلاقيّات البيئة المحيطة أنّ الإنسان يُدير جهاز الموارد في العالَم، ويجب أنْ يديرها من أجله، ومن أجل الأجيال القادمة الّتي تستحق هذا العالَم أيضًا.

مصدر هذا التصوّر الكتب الدينيّة، وهو يعني أنّ العالَم لخدمة الإنسان، لكن يجب عليه أنْ يحميه. تُعتبر فكرة الـ Stewardship أساس النهج الشائع اليوم عند متّخذي السياسة الّتي أُعِدّت لمواجهة مشاكل البيئة المحيطة.

للتعرّف على معنى نهج مركزيّة الإنسان نفحص، على سبيل المثال، كيف يعلّل هذا النهج ضرورة الحفاظ على التنوّع البيولوجيّ[8] في العالَم؟

يمكن أنْ تكون تعليلات نهج مركزيّة الإنسان كالتالي: التنوّع البيولوجيّ الغنيّ يحتوي على أنظمة طبيعيّة يحتاجها الإنسان لإعادة تدوير الموادّ، وكلّما تتوفّر أنواع كثيرة تزداد القدرة على إيجاد أنواع يمكن أنْ تكون مصدرًا لتطوّر الأدوية، والتنوّع الغنيّ للأنواع وللأنظمة البيئيّة هو مصدر استمتاع للإنسان.

لا تظهر في تعليلات نهج مركزيّة الإنسان ادّعاءات تتناول القيمة الداخليّة للكائنات الحيّة الّتي يدور الحديث عنها، هذا يعني أنّ التعليلات لا تتطرّق إلى قيمة حياة هذه الكائنات الحيّة بحدّ ذاتها.
نفحص بحسب نهج مركزيّة الإنسان قضيّة البيئة المحيطة الّتي طرحناها في بداية الفصل.
إحدى الطرق الّتي اقتُرحت لمواجهة تناقص عشائر أسماك السلمون هي أنْ نسمح بصيد كلاب البحر. قد تواجه نهج مركزيّة الإنسان مشكلة معقّدة، لأنّه تتناقض في هذه الحالة مصالح شخصيّة إنسانيّة؛ فمن ناحية هنالك أناس يكتسبون رزقهم من السياحة البيئيّة، وأناس يستمتعون من رؤية كلاب البحر، ومن الناحية الثانية هنالك صيّادو أسماك السلمون وهنالك أناس يأكلون أسماك السلمون.
إذا اعتبرنا الفريق الأوّل أهمّ، فيجب أنْ نمنع الصيد. وإذا اعتبرنا الفريق الثاني أهمّ، فيجب أنْ نسمح بالصيد. يمكن أنْ يكون الصيد المراقب حلًّا وسطًا لهذه المشكلة.

8 التنوّع البيولوجيّ هو مصطلح يعبّر عن التنوّع في الطبيعة. يتطرّق التنوّع إلى تنوّع أنواع الحيوانات والنباتات، التنوّع الوراثيّ الداخليّ في كلّ نوع، وتنوّع أنظمة البيئة المحيطة. معنى التنوّع البيولوجيّ الغنيّ أنّ هنالك أنواعًا كثيرة، وفي كلّ نوع هنالك تباين وراثيّ كبير، ويتحقّق تنوّع كبير للأنظمة البيئيّة.

في كلّ حالة من الحالتين المذكورتين، لا يوجد ضمن اعتبارات نهج مركزيّة الإنسان مكان لتعليل القيمة الداخليّة لكلاب البحر أو أسماك السلمون، إذ يتطرّق هذا النهج إلى أسماك السلمون وكلاب البحر كقيمة استعمال للإنسان فقط.

هل نتصرّف حسب نهج مركزيّة الإنسان بشكل مطلق؟ - صراع الإنسان الأخير

ادّعى الفيلسوف الأسترالي ريتشارد روتلي (Richard Routly) أنّ الإنسان يتعامل مع الطبيعة بشكل خاصّ، ولا يرى في الطبيعة، بشكل حدسيّ، أنّها قيمة استعمال فقط. لدعم ادّعائه عرض الحالة الخياليّة التالية:

انقرض الإنسان بسبب كارثة طبيعيّة وبقي في العالَم شخص واحد فقط. هو يعرف أنّه لا توجد استمراريّة للبشريّة بعد موته، وقرّر قبل موته أنْ يُبيد جميع الكائنات الحيّة في العالَم. يسأل روتلي: هل عمله أخلاقيّ؟ إذا تطرّقنا إلى ذلك من منطلق مركزيّة الإنسان، فإنّ عمله مقبول، لأنّه لا يضر أيّ إنسان آخر. ادعى روتلي أنّ معظم الناس تعتبر وتشعر أنّ هذا العمل غير أخلاقيّ، وذلك دلالة على أنّ الإنسان لا يتصرّف بنهج مركزيّة الإنسان بشكل مطلق.

أسئلة للتفكير

1. ما رأيكم في عمل "الإنسان الأخير"؟
2. هل حدث لكم أنّكم أردتم أنْ تُحفظ الطبيعة أيضًا، حتّى إنْ لم تكن لكم وللآخرين منفعة؟

نَهج مركزية الأحياء (بيوسنتري)

يضع نهج مركزيّة الأحياء [9] الكائن الحيّ كفرد في المركز. يُعتبر الإنسان كائنًا حيًّا كسائر الكائنات الحيّة الأخرى، ولا توجد له مكانة مفضّلة. حسب هذا النهج، هنالك قيمة داخليّة للكائنات الحيّة. هذا يعني أنّ هنالك قيمة لحياتها ورفاهيّتها، وهذا غير متعلّق بالفائدة الّتي يجنيها الإنسان. تتناول الأخلاقيّات الّتي طُوّرت في إطار نهج مركزيّة الأحياء تساؤلات كثيرة حول معاملة الحيوانات (نتوسّع في ذلك، في الفصل الثاني). يكرّس المفكرون الّذين يؤمنون بنهج مركزيّة الأحياء قسمًا مركزيًّا لمناقشة السؤال التالي: هل جميع الكائنات الحيّة في العالم ذات قيمة داخليّة؟ مثلًا: هنالك من يدّعي أنّ الحيوانات الّتي تمتلك الوعي والإحساس (الثدييات)، هي الّتي تستحقّ أخلاقيّات البيئة المحيطة، لكن يدّعي آخرون أنّ الحيوانات الّتي تشعر بالمعاناة تستحقّ أخلاقيّات البيئة المحيطة، وهنالك منْ يدّعي أنّ جميع الكائنات الحيّة (حيوانات ونباتات) تستحقّ أخلاقيّات البيئة المحيطة.

9 بيوسنتري - في اليونانيّة: بيو – أحياء، سنتري – مركز، هذا يعني أنّ الأحياء في المركز.

تستحق الحيوانات كأفراد، في نهج المركزيّة الحيويّة، معاملة أخلاقيّة.

هنالك سؤال آخر: ماذا يحدُث عندما تتصادم مصالح كائنات حيّة ليست إنسانًا ومصالح الإنسان؟ مثلًا: في الحالة التي تُنفّذ تجارب على الحيوانات، ويؤدّون لمعاناتها لتطوير أدوية تُنقذ حياة الإنسان. هنالك منْ يدّعي أنّه في هذه الحالات يجب أنْ يكون تدريج للكائنات الحيّة وتدريج للقيم، كي نحدّد حسبها متّى تكون حقوق كائن حيّ معيّن أفضل من حقوق كائن حيّ آخر. إذا فحصنا سؤال الحفاظ على التنوّع البيولوجيّ، من منطلق نهج مركزيّة الأحياء، فإنّنا نجد أنّ الأشخاص الّذين يؤيّدون هذا النهج يدعمون النشاطات الّتي تحافظ على التنوّع البيولوجيّ الّذي يدعم الحفاظ على حياة الكائنات الحيّة ورفاهيّتها في البيئة المحيطة، مثلًا: الإعلان عن مناطق معيّنة كمحميّات طبيعيّة يُمنع فيها الصيد. لكن قد يعترضون على النشاطات الموجّهة للحفاظ على التنوّع البيولوجيّ إذا كانت هذه النشاطات مؤذية لكائنات حيّة أخرى بشكل فرديّ، مثلًا: إذا اصطادوا أفرادًا من الطبيعة ونقلوها إلى حديقة حيوانات لإنتاج نوى تكاثر للنوع. يعلّل الأشخاص الّذين يدعمون نهج مركزيّة الأحياء موقفهم أنّ كلّ فرد يستحقّ الحياة في بيئته المحيطة الطبيعيّة، ولا يجوز أنْ نقوم بأيّ عمل يمسّ بهذا الحقّ، حتّى لو يخدم هذا النشاط نوع الحيوانات ذاته. الادّعاءات الّتي تتناول أهمّيّة الحفاظ على التنوّع البيولوجيّ من أجل الإنسان لا تظهر في إطار تعليلات نهج مركزيّة الأحياء. يدّعي مؤيّدو نهج مركزيّة الأحياء في قضيّة صيد كلاب البحر أنّه ممنوع صيدها. التعليل سيكون أنّ الصيد يضرّ بحقوق حياة كلاب البحر.

نهج مركزيّة الكون (إكوسنتري)

يضع نهج مركزيّة الكون (إكوسنتري)[10] النظام البيئيّ في المركز، لأنّ النظام البيئيّ يُعتبر كيانًا له قيمته الداخليّة. بالإضافة إلى النظام البيئيّ هنالك قيمة داخليّة للكائنات الحيّة المنفردة أيضًا، وأحيانًا للبيئة المحيطة الفيزيائيّة (مثل: الجبال، الأنهار)، لكن هذه القيمة ثانويّة بأهميّتها مقارنة بالقيمة الداخليّة للنظام كلّه. هذا النهج شموليّ [11] ، وهو يعتبر الكامل أو الكلّ أهمّ من الأفراد الّتي تكوّنه. كما هو الأمر في نهج مركزيّة الأحياء، يُعتبر الإنسان في هذا النهج كنوع واحد إلى جانب الأنواع الأخرى، وهو ليس الحاكم في الطبيعة.

10 اكوسنتري- في اليونانية: إكو - كون، سنتري - مركز، هذا يعني أنّ الكون في المركز.

11 الشموليّة هي تصوّر فكريّ بحسبه الصحيح أو الكامل أكبر من مجموع أقسامه، ولا يمكن شرح الأنظمة بواسطة فحص مكوّناتها بشكل منفرد. انظروا النقاش حول مصطلح الشموليّة في الفصل الرابع، صفحة 66.

يجب على الإنسان أنْ يحترم الأنواع الأخرى الّتي تعيش إلى جانبه، ويجب أنْ يفحص نشاطاته في البيئة المحيطة حسب تأثيرها وانعكاساتها على النظام البيئيّ كلّه وليس على الإنسان فقط. لا توجد للإنسان حقوق أكثر في العالَم، ويجب أنْ يكون تدخُّله في البيئة المحيطة في الحدّ الأدنى، ولا يُسمح له أنْ يؤثّر على الطبيعة أكثر من الأمور الضروريّة الّتي تزوّد احتياجاته الأساسيّة.

نفحص الآن كيفيّة تعامل نهج مركزيّة الكون مع قضية التنوّع البيولوجيّ وصيد كلاب البحر. يدعم مؤيّدو نهج مركزيّة الكون جميع النشاطات الّتي تهدف للحفاظ على التنوّع البيولوجيّ. التعليل المركزيّ لهذا النهج أنّ الحفاظ على التنوّع البيولوجيّ ضروريّ للحفاظ على ثبات الأنظمة البيئيّة في العالَم، وهي أنظمة ذات قيمة داخليّة.

قد يدعم مؤيّدو نهج مركزيّة الكون صيد كلاب البحر بشكل محدود، في قضيّة كلاب البحر وأسماك السلمون، كي تنتعش أسماك السلمون والنظام البيئيّ للأنهار. لكن إلى جانب هذا العمل يجب أنْ يفحص مؤيّدو نهج مركزيّة الكون مُجمل نشاطات الإنسان في البيئة المحيطة، وأنْ يجدوا لماذا نتجت الحالة الّتي أدّت إلى المشكلة؟ لذا تُطرح الأسئلة التالية: هل تضرّ طريقة صيد أسماك السلمون ثبات النظام البيئيّ؟ هل يُعتبر البناء، الّذي يهدم أماكن تعشيش أسماك السلمون في مرتفع النهر، عمليّة ضروريّة لتلبية الاحتياجات الضروريّة للإنسان؟

تستحق الأنظمة البيئيّة، في نَهج مركزيّة الكون، معاملة أخلاقيّة.

أسئلة للتفكير

1. اختاروا موضوعًا يحتاج إلى تحديد سياسة البيئة المحيطة.
   أ. اعرضوا الموضوع (ما المشكلة، من هي الأطراف المشاركة في المشكلة).
   ب. اعرضوا إمكانيّات مواجهة المشكلة حسب كلّ نهج من النُهُج الثلاثة: نهج مركزيّة الإنسان، نهج مركزيّة الأحياء ونهج مركزيّة الكون.
2. أيّ نهج من بين النُهُج الّتي عُرضت، في هذا الفصل، يبدو لكم النهج الصحيح؟ اشرحوا لماذا يُعتبر، حسب رأيكم، أفضل من النُهُج الأخرى؟ يمكنكم أنْ تفكّروا بنهج خاصّ بكم، وأنْ تشرحوا لماذا يُعتبر نهجكم أفضل من النُهُج المقبولة؟

نظريّة المنفعة
ونظريّة الحتمية

نختتم الفصل في عرض نظريّتين أخلاقيّتين، **نظريّة المنفعة ونظريّة الحتمية**. تُعتبر هاتان النظريّتان أساس النقاشات الأخلاقيّة في المجالات المختلفة، ومن ضمنها أخلاقيّات البيئة المحيطة.

نظريّة المنفعة (Utilitarianism) – طوّر هذه النظريّة المفكّران الإنجليزيّان، جرمي بنتم (Jeremy Bentham) وجون ستوارت ميل (John Stuart Mill)، اللّذان عاشا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. حسب نظريّة المنفعة، العمل الصحيح هو العمل الّذي يؤدّي إلى معظم المنفعة. التركيز في نظريّة المنفعة على النتيجة. إذا حقّقت النتيجة الهدف، فإنّ العمل (الطريقة) الّذي أدّى إلى ذلك يُعتبر جديرًا وعادلًا. تُلزمنا نظريّة المنفعة أنْ نقدّم إجابة عن السؤال التالي: ما هي المنفعة؟ هنالك إجابات مختلفة لهذه القضيّة، حيث تدّعي إحدى الإجابات المركزيّة أنّ المنفعة معناها الاستمتاع ومنع المعاناة، وهذا يعني أنّه كلّما أدّى عمل معيّن إلى استمتاع أكثر وإلى معاناة أقلّ، فإنّ العمل يكون جديرًا وأفضل. نسمّي هذا النهج **منفعة حياة المتعة** (Hedonistic)، وهو مناسب للنقاش في موضوع أخلاقيّات البيئة المحيطة الّتي من الجدير استعمالها مع الحيوانات، سنتناول هذا الموضوع بتوسّع في الفصل الثانيّ.

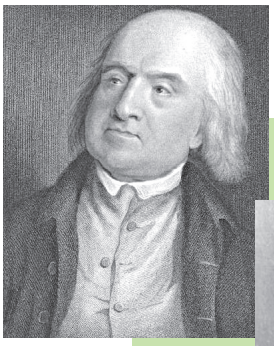

جرمي بنتم

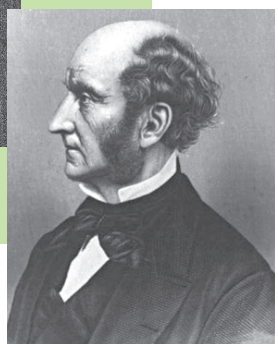

جون ستوارت ميل

يدّعي نهج آخر أنّ المنفعة هي تلبية معظم رغبات الناس في المجتمع. هذا يعني أنّه كلّما يلبّي عمل معيّن رغبات أناس أكثر، فإنّه يكون أفضل. نسمّي هذا النهج **"منفعة تلبية الرغبات"**، وهذا يعني أنّ هدفه تلبية الرغبات. مثال: نفترض أنّ هنالك طلبًا لتحديد معايير (أوامر، مقاييس، مواصفات) [12] انبعاث ملوّثات إلى الهواء من مصنع معيّن. من المعروف أنّه إذا كان المعيار صارمًا، فإنّ التكاليف الماليّة المطلوبة لتحقيقه تكون عالية أيضًا (مثلًا: يحتاج المصنع إلى شراء أجهزة متطوّرة وباهظة الثمن لتقليص التلوّث). لذا يرغب أصحاب هذا المصنع أنْ

12 معيار (أمر، مواصفات، مقياس) الانبعاث: معيار يحدّد كمّيّة الملوّثات المسموح انبعاثها من مصدر انبعاث معيّن (مثل: المصنع، السيّارة وغير ذلك).

يكون المعيار سهلًا أو أن لا يكون بتاتًا. سيرغب العمّال بذلك، أيضًا، لأنّهم يخشون أنْ يؤدّي هذا المعيار (الأمر) إلى خسارة في الربح وإلى خسارة أماكن عملهم، كما يرغب مستهلكو منتجات هذا المصنع في شراء منتجاته بسعر منخفض، لا يشمل التكاليف المطلوبة لتلبية معيار الانبعاث، لكن يرغب السكّان الّذين يعيشون بالقرب من هذا المصنع أنْ يحافظ الأمر (المعيار) على هواء نقيّ كي لا تتضرّر صحّتهم. إذا اتخذت سلطات الحكم القرار حسب نظريّة الفائدة، فإنّهم يحدّدون المعيار بطريقة تؤدّي إلى المنفعة القصوى، حيث تؤخذ بالحسبان جميع رغبات مكوّنات الجمهور ونسبة كلّ واحد من هذه المكوّنات. يُتّخذ في حالات كثيرة قرار يُحدّد مستوى معيار يُتيح تقليص الضرر الّذي يمكن أنْ يؤذي صحّة الجمهور، لكن لا يمنعه بشكل مطلق، لأنّهم لا يرغبون في فرض تكاليف تؤدّي إلى خسارة المصنع، ولأنّ هذا الأمر يضرّ عمال المصنع وجمهور المستهلكين لمنتجات هذا المصنع.

يبدو ذلك حلًا وسطًا منطقيًّا، لكن قد تؤدّي المنفعة في حالات معيّنة إلى قرار متطرّف، وهو أنْ لا يُحدّد معيار بتاتًا، مثلًا: في حالة أنّ عدد السكّان المتضرّرين قليل؛ فالوزن النسبيّ لرغباتهم قليل. يتناقض هذا القرار مع حدسنا الأخلاقيّ الّذي بحسبه لا نستطيع أنْ نتقبّل هذا القرار الّذي يضرّ بصحّة الناس كقرار أخلاقيّ. تُعتبر هذه الإمكانيّة لاتخاذ هذا القرار أحد سيّئات نظريّة الفائدة. هنالك مشكلة أخرى في نظريّة الفائدة، وهي أنّه من الصعب أنْ نعدّ وأنْ نجد مجموع الفائدة في عمل معيّن. مثلًا: كم هي الفائدة الّتي نجنيها من تحقيق رغبة إنسان واحد للهواء النقيّ؟ هل هذه الفائدة أكثر من الفائدة الّتي يجنيها صاحب المصنع من تحقيق رغبته في الأرباح؟ إذا كانت قيمة الهواء النقيّ أكثر من قيمة الهواء الملوّث، فبكم أكثر؟ على الرغم من أنّ نظريّة المنفعة تُتيح تنفيذ حسابات المنفعة، وتُتيح الحصول على إجابة دقيقة، إلّا أنّه في الواقع هنالك صعوبة في حساب فائدة معيّنة مقارنة بفائدة أخرى، ولا تُقدّم نظريّة المنفعة معنى واحدًا مطلقًا.

هنالك ادّعاء آخر في هذا السياق، وهو أنّ الطرف الّذي يُقيّم المنفعة قد يتعرّض إلى ضغط من قبل أصحاب نفوذ (مثلًا: أصحاب المصنع الّذين يتمتعون بقوّة اقتصاديّة كبيرة)، وأنْ يستجيب لرغباتهم.

هنالك مشكلة إضافيّة لنظريّة المنفعة، وهي أنّ العمل يُفحص حسب النتائج؛ لذا لا يمكن أنْ نعرف قبل تنفيذ العمل ما إذا كان هذا العمل ملائمًا أم لا. إذا فحصنا تحديد معيار الانبعاث من مصنع معيّن، وإذا حدّدنا معيارًا سهلًا، واتّضح أنّه يكفي كي نمنع حدوث ضرر للسكّان، فإنّ هذا العمل مناسب جدًّا، لأنّ سعر الإنتاج يكون منخفضًا، ويستفيد أصحاب المصنع من أرباح كثيرة، ويشتري المستهلكون المنتجات بسعر رخيص. لكن إذا اتّضح أنّ هذا المعيار يضرّ بصحّة أشخاص كثيرين، فإنّ تحديد الأمر السهل يُعتبر عملًا غير مناسب.

عمنوئل كانط

نظريّة الحتمية (Categorical Imperative) – تنتمي هذه النظريّة إلى مجموعة النُهُج الأخلاقيّة، الّتي تعتبر العمل أنّه أخلاقيّ إذا تمّ تطبيق قانون أخلاقيّ ثابت مسبقًا، بغضّ النظر عن نتائج العمل. كان عمنوئل كانط (Immanuel Kant)، الّذي عاش في القرن الثامن عشر، بارزًا في صياغة هذه النظريّة. حسب نهج كانط، لكلّ إنسان حقوق، ولا يحقّ لأيّ إنسان أنْ يمسّ بهذه الحقوق. مثلًا: يستحقّ كلّ إنسان أنْ يعيش؛ لذا ينتج من ذلك أنّه لا يحقّ لأيّ إنسان آخر أنْ يقتله. أو أنّ كلّ إنسان يستحقّ المساواة؛ لذا يجب على كلّ إنسان أنْ يتصرّف بمساواة مع الأشخاص الآخرين. مثلًا: لا يجوز لصاحب عمل أنْ يختار موظّفًا للعمل حسب جنسه، عمره أو أصوله. لعرض كيف ترتبط هذه النظريّة بأخلاقيّات البيئة المحيطة نعود إلى المثال الّذي وصفناه في موضوع تحديد معيار الانبعاث من مصنع ملوّث. حسب نظريّة المنفعة، عندما يكون عدد الأشخاص الّذين يعانون من أضرار المصنع قليلًا، قد يُتّخذ قرار أنْ لا يتمّ تحديد معيار الانبعاث من مصنع ملوّث، أو يُحدّد أمر يسمح بالتلوّث بمستوى يؤدّي إلى أضرار صحّيّة. لا توافق نظريّة المعيار المطلق على هذا القرار، لأنّ كلّ إنسان يستحقّ أنْ يعيش في بيئة محيطة لا تضرّ صحّته. في هذه الحالة، الفائدة الّتي يجنيها المجتمع من هذا المصنع غير مهمّة، ويجب على متّخذي القرارات أنْ يحدّدوا معيار لا يمسّ بحقوق أيّ إنسان أنْ يعيش بالقرب من المصنع، وأنْ لا يعيش في بيئة محيطة ضارّة.

المشكلة المركزيّة في أخلاقيّات النظريّة الحتمية أنّه كيف يجب أنْ نتصرّف في حالات تتصادم فيها الحقوق؟ السؤال في هذه الحالات: هل حقّ معيّن أفضل من حقّ آخر، أو أنّه يجب إلغاء كلّ حقّ بمدى معيّن كي لا نلغي الحقّين. تتصادم الحقوق بشكل شائع عندما نتناول مواضيع البيئة المحيطة. إذا عدنا إلى مثالنا، نجد أنّ هنالك تصادمًا بين حقّ المواطنين أنْ يعيشوا في بيئة غير ضارّة بالقرب من المصنع وحقّ مُلكيّة [13] أصحاب المصنع. قد يدّعي أصحاب المصنع أنّ المعيار الّذي يُلزمهم في تنفيذ عمليّات معيّنة في ملكهم الخاصّ (مثلًا: إضافة مصافٍ للمداخن، أو تقليص الإنتاج) يمسّ بحقّ المالك. كيف نحسم في هذه الحالة؟
المشكلة الأخرى أنّه يجب أنْ نخضع للمبادئ الأخلاقيّة بشكل مطلق، بغضّ النظر عن النتائج الّتي يمكن أنْ تكون لذلك.[14].

13 حق أصحاب المُلك بالممتلكات، وحقّ التصرّف دون حدود.

14 يمكن أنْ نعرض الحالة المتطرّفة التالية، لإحدى سيّئات نظريّة الحتمية، نفترض أنّ هنالك قاتلًا يبحث عن شخص آخر كي يقتله، وفي طريقه يلتقي بشخص آخر يعرف مكان الضحيّة، ويسأله هل يعرف مكان الشخص الّذي يبحث عنه؟ حسب نظريّة الحتمية، إذا كان هنالك مبدأ يمنع الكذب، فيجب على الإنسان أنْ يقول الحقيقة وأنْ يكشف عن مكان الشخص الّذي يبحث عنه القاتل، على الرغم من أنّ هذه النتيجة قد تؤدّي إلى القتل.

حسب نظريّة الحتمية، إذا تضرّر إنسان واحد فقط من التلوّث المنبعث من المصنع، فيجب إغلاقه، على الرغم من الفائدة الّتي يجنيها أناس كثيرون جدًّا من هذا المصنع[15].

نظريّة المنفعة ونظريّة الحتمية في الحكم الديمقراطيّ — أثّر كلّ من نظريّة المنفعة ونظريّة الحتمية على بلورة ثقافة الحكم الديمقراطيّ. نجد، في طريقة هذا الحكم، مميّزات هاتين النظريّتين، التزام الحكم الديمقراطيّ أنْ يعمل حسب رغبة معظم الشعب وهذا ما يميّز نظريّة المنفعة، والتزام الحكم الديمقراطيّ أنْ يحافظ على حقوق الفرد وهذا ما يميّز نظريّة الحتمية. نجد في دستور دول ديمقراطيّة كثيرة تعريفًا للحقوق الأساسيّة الّتي لا نستطيع أنْ نمسّها حتّى في حالة وجود قرار الأغلبيّة. لا يوجد في إسرائيل دستور؛ لذا تُستعمل قوانين أساسيّة، مثلًا: "قانون حقّ احترام الإنسان وحريّته".
مثلًا، في المثال الّذي وصفنا فيه تحديد معيار انبعاث ملوّث من مصنع معيّن، يستطيع القانون الأساسيّ (الّذي يحدّد أنّه من حقّ الإنسان أنْ يعيش في بيئة محيطة لا تضرّ صحّته) أنْ يُلزم تحديد معيار يحقّق هذا الحقّ، على الرغم من أنّ رغبة الأغلبيّة مختلفة.

أسئلة للتفكير

1. وصفنا طريقتين لتحديد معيار (مقياس، مواصفات) الانبعاث، إحداهما حسب مبادئ نظريّة المنفعة، والثانية حسب نظريّة الحتمية. هنالك حسنات وسيئات لكلّ نَهج.
   أ. سجّلوا في جدول حسنات وسيّئات كلّ نهج في قضيّة تحديد المعيار.
   ب. أيّ نَهج أفضل، حسب رأيكم؟

2. تمعّنوا في الحالة الموصوفة في صفحة 153 (احتياجات الصناعة ومساهمتها في الجهاز الماليّ القوميّ مقابل الإضرار بالفرد).
   أ. حسب أيّ نَهج (المنفعة أم الحتمية) صدر قرار المحكمة؟ حسب أيّ نهج قرّرت وزارة الماليّة؟
   ب. أيّ نقص في نظريّة الحتمية ظهر في هذه الحالة؟

3. جدوا موضوعًا في البيئة المحيطة فيه صراع (معضلة) أخلاقيّ.
   أ. صفوا المشكلة، وعرّفوا الصراع (المعضلة) الأخلاقيّ.
   ب. ما هي القيم المتصادمة في هذا الصراع (المعضلة)؟
   ت. اقترحوا حلًا للصراع (للمعضلة) حسب نظريّة المنفعة وحسب نظريّة الحتمية.

15 اُنظروا، في صفحة 153، إلى هذه القضيّة الّتي واجهتها محكمة العدل العليا في البلاد.

التعدديّة الأخلاقيّة وواقعيّة البيئة المحيطة

يطرح التنوّع الكبير لقضايا البيئة المحيطة السؤال، هل يستطيع نهج أخلاقيّ واحد (مونيزم[16] أخلاقيّ) أنْ يفي بمتطلبات جميع قضايا البيئة المحيطة الممكنة. يعتقد قسم من المفكرين أنّه لا يمكن، وهم يقترحون أنّ نتبنّى التعدديّة (بلوروليزم[17]) الأخلاقيّة، الّتي تعني أنّه يجب أنْ نتبنّى أفكارًا أخلاقيّة مصدرها من نُهُج مختلفة، وذلك وفقًا للقضايا المطروحة. يذكر المفكّرون الّذين يدعمون هذا النَّهج أنّه يمكن بهذه الطريقة أنْ نفحص السؤال المطروح من عدّة وجهات نظر. وعندما تُطرح قضيّة معيّنة نكتشف في حالات كثيرة أنّ نظريّة أخلاقيّة معيّنة لا تتطرّق إلى هذه المشكلة، لكن يمكن معالجتها بنظريّة أخلاقيّة أخرى. يدّعي المعارضون للتعدديّة الأخلاقيّة أنّه لا يمكن أنْ نحسم قرارات أخلاقيّة، عندما تواجهنا نظريّات مختلفة متناقضة. هنالك ادّعاء آخر في هذا السياق؛ بما أنّه يجب علينا اختيار طريقة معيّنة من عدّة طرق ممكنة فيمكن أنْ نختار الطريقة الأسهل لنا كبني بشر؛ لذا التعدديّة الأخلاقيّة تمثّل بالضرورة نُهُج مركزيّة الإنسان.

سؤال للتفكير

ما موقفكم بالنسبة للتعدديّة الأخلاقيّة؟ هل هذا النهج مناسب، حسب رأيكم، لمواجهة مشاكل في البيئة المحيطة؟

تلخيص

الآداب والأخلاقيّات هو مجال في الفلسفة يتناول السؤال: كيف من الجدير أنْ نعيش وأنْ نتصرّف؟ تحاول نظريّات أخلاقيّة أنْ تصوغ نظام مبادئ، وكلّ من يتصرّف حسب هذه المبادئ يُعتبر إنسانًا أخلاقيًّا. تُصاغ المبادئ على الأغلب بطريقة عالميّة، هذا يعني أنّ المبادئ مناسبة لكلّ إنسان في كلّ مكان وزمان. تعرّفنا على نظريّتين أخلاقيّتين عالميّتين: **نظريّة المنفعة** الّتي تدّعي أنّ العمل الصحيح هو العمل الّذي يؤدّي إلى معظم المنفعة (يتمّ تقييم العمل حسب نتائجه)، **ونظريّة الحتمية** الّتي تدّعي أنّ العمل يُعتبر جديرًا إذا كان هنالك تطبيق لقانون أخلاقيّ مسبقًا بغضّ النظر عن نتائج العمل. هنالك من يعارض صياغة مبادئ عالميّة، ويدّعون أنّ الأخلاقيّات شيء نسبيّ يمكن أنْ يتغيّر بين الثقافات المختلفة. نسمّي هذا النهج **النسبيّة الأخلاقيّة.**

16 مونيزيم (فرديه): الإيمان بمبدأ واحد.

17 بلوروليزم: تعدديّة الآراء والمواقف.

تطوّر **آداب أخلاقيّات البيئة** المحيطة كردّ فعل لأزمة البيئة المحيطة، الّتي نتجت في أعقاب ازدياد هدم البيئة المحيطة، وتناقص مواردها بواسطة الإنسان منذ الثورة الصناعيّة. تتناول أخلاقيّات البيئة المحيطة فحص العلاقة بين الإنسان والبيئة المحيطة، مثل: البيئة المحيطة الطبيعيّة والبيئات المحيطة الّتي أنتجها الإنسان، مثل: المدينة والنظام الزراعيّ.
السؤال المركزيّ في أخلاقيّات البيئة المحيطة هو: من يستحقّ المعاملة الأخلاقيّة، وما مكانة الإنسان في الطبيعة؟
يُجيب مفكّرون مختلفون عن هذا السؤال بطرق مختلفة. يمكن أنْ تنتمي نُهُجهم إلى ثلاثة نُهُج مركزيّة:

- **نَهج مركزيّة الإنسان**: حسب هذه النظريّة، الإنسان فقط له قيمة داخليّة وقيمة أخلاقيّة. أمّا سائر الأشياء (البيئة المحيطة الطبيعيّة، الحيوانات والنباتات) فتُعتبر موارد لخدمة الإنسان وفائدته بطرق مختلفة.
- **نَهج مركزيّة الأحياء**: حسب هذه النظرية، بالإضافة للإنسان هنالك قيمة داخليّة لكائنات حيّة أخرى، وهي تستحقّ معاملة أخلاقيّة أيضًا. يحدّد قسم من المفكّرين تقديم العلاقة الأخلاقيّة للحيوانات الّتي تمتلك الوعي والإحساس فقط (الثدييّات)، ويدّعي آخرون أنّ جميع الحيوانات الّتي تشعر بالمعاناة تستحقّ المعاملة الأخلاقيّة، وهنالك من يدّعي أنّ جميع الكائنات الحيّة (حيوانات ونباتات) تستحقّ المعاملة الأخلاقيّة.
- **نهج مركزية الكون**: حسب هذه النظريّة بالإضافة للإنسان هنالك قيمة داخليّة للأنظمة البيئيّة وللغلاف الحياتيّ كلّه أيضًا؛ لذا يجب أنْ نأخذ بالاعتبار أخلاقيّات الأعمال الّتي تؤثّر على الأنظمة البيئيّة. الإنسان في هذا النَّهج هو نوع واحد إلى جانب أنواع أخرى تعيش على الكرة الأرضيّة، وهو ليس "الحاكم" في الطبيعة.